رمضان يبني القيم

تأليف

مشعل عبد العزيز الفلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان يبني القيم

المؤلف

مشعل عبد العزيز الفلاحي

رقم الإيداع

الطبعة الأولى

الناشر:

مكتب راية التوحيد
لصف وتحقيق الكتب الإسلامية
٠١٠٦٥٣٩٤٨٩٦

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

عالم النجاح معقود بنواصى القيم، والتاريخ مهما كان فسيحـًا في حياة إنسان يظل يتيمـًا عاريـًا إذا لم تلبسه القيم من جلبابها الكبير، وعظمة كل إنسان في الأرض رهن على حياة هذه القيم في واقعه.

إن شهر رمضان يجب أن يتحول في عقلية كل إنسان من مناسبة دينية باتت تؤثّر فيها العادات إلى مدرسة لبناء القيم وفرصة لعناق كل أمنية يحلم بها إنسان ، وعلينا أن ندرك أننا أمام مدرسة روحية تربى القيم وتجذّر المعاني الكبار في حياة كل إنسان. وإننى عبر هذه الأسطر سأطوّف بك أيها القارئ الكريم في فناء هذه المدرسة لنقرأ أنا وإياك قصة القيم في حياة الكبار ، وكيف أن هذه المدرسة قادرة على أن تخرّج طلابـًا قادرين على بناء أنفسهم وبناء واقعهم

بالصورة التى يحلم بها الكبار.

إن هذه القيم بحاجة منك إلى قراءة متأنية وهى تنفع مادة إثرائية للخطيب في جمعته، ومادة للقراءة كمجالس في شهر رمضان، ويمكن أن تكون ضمن مشروعى تربوي وثقافي وتجرى عليها مسابقات خلال شهر رمضان لتتأصل مثل هذه القيم والمفاهيم التى لو أدركها الإنسان وهو يصوم رمضان لكانت نقلة نوعية قد تأتي على تغيير مفاهيمه وأفكاره وتصوراته بالكلية، وتنشئ منه إنساناً يقوم بعبادة الله تعالى وهو يدرك شجونها وشؤونها الكبرى في صناعة الحياة. وهو المستعان وعليه التكلان إنه ولى ذلك والقادر عليه.

تأليف

د / مشعل عبد العزيز الفلاحي

محافظة القنفذة - حلي

Mashal001@hotmail.com

(١)

مباهــج الفــرح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

هذا مساءُ الفرح! وهذه ليلةُ الأحلام! وهنا قصة البداية من كل عام، هذه قناديل الفرح تملأ طرقاتِنا، وتثيرُ مشاعرَنا، وتأتي على مباهج حياتِنا، من الطارق؟ من هذا الذي حول الروتين في حياتنا من أول وهلة؟ من هذا الذي دفع بهمومنا، واستقبل بنا عالم الأفراح!

أهلاً أيها القادم بعد طول زمن! أهلاً بصانع الفرح والبهجة! أهلاً بك يارمضان بعد طول انتظار. ما كل غائب يُنتظر! ولا كل قادم يستحق الفرح! وصدق الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]

هنا الحدث الكبير، هنا ساحات الفرص، هنا عالم البهجة، هنا بعض أسرار الفرح: «**جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[(١)].

قم من سريرك، واستقبل لحظات الفرح من يومك، وابدأ خطوك الصالح من جديد، وكم من فائت لا يعود!

وكم من فرص يطويها التفريط ثم لا تكاد تعود!.

كم في هذا المساء من ميّت غاب صوته واندثرت صورته!

وكم من مريض محبوس عن مباهج ليلته!

وكم من سجين لا يرى غير حديد زنزانته وأنت تعيش آمنًا في وطنك، معافًا في بدنك. سعيداً بهيجًا بلحظتك فما أنت صانع في زمان الربيع!

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٥)، والنسائي (٤/ ١٢٩).

(٢)

مشروعك الرمضاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

هل فكّرت في مشروعك الرمضاني! أم ما زلت تنتظر! هل عزمت النية هذا العام أن تكتب لنفسك مشروعـًا يعبر عن شخصيتك ويكتب أثرك!

ها هو رمضان يعود ، وها هي نعم الله تعالى تتجدد عليك من جديد! ها أنت ما زلت حيـًا وغيرك رحل! ومعافـًا وغيرك مريض، وحراً طليقـًا وغيرك في غياهب السجون فماذا تنتظر!.

هذا يرتّب مكانه، وذاك يعد حاجاته وأشيائه، وثالث ورابع وخامس. وأنت ما مشروعك الذي تستقبل به شهرك، وتستثمر به فرصتك وتملأ به فراغك، وتبني به

مستقبلك!

ما أكثر ما تلوح الفرص وما أكثر ما تضيع!

وكم من فائت لم يجد فيه البكاء شيئًا!

يمكن أن يكون مشروعك توبة صادقة تستدرك بها ما فرط، وتستقبل فيها عفو ربك ورحمته ورضاه.

كم بينك وبين الله تعالى من موبقات وأخطاء وخلوات لعله آن أوان الفكاك منها والتخلي عنها وسترها عن السؤال والنقاش! هذا ربك يدعوك لغفران ذنبك ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمَر:٥٣]

وعلّق فلاحك وتزكيتك وأفراح مستقبلك على توبتك وحسن عودك وإصلاح ما بينك وبينه ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١]

بل بلغ فرح ربك بك وبإقبالك إليه وإحسان ما بينك وبينه إلى صورة لا تتخيلها «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا**

طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»[1].

فتجمّل للقاء ربك، وأعد هذا الشهر من أعظم الفرص لبناء نفسك، واستعد أن تخوض رحلة الاستعلاء على شهواتك، وابدأ صفحة جديدة في دنياك وقد تأتي من خلال هذا الباب على كل شيء في النهايات.

ويمكن أن يكون مشروعك تجديد الصلة بالله تعالى في سائر شؤونك وإعادة ترتيب عبادة، ماذا لو أخذت فرصة لمراجعة عباداتك التي تقوم بها لربك وهل أَخَذَتْ حقها من الإخلاص والصدق والإقبال والرغبة فيما عند الله تعالى أو هي مجرد صور لم تأخذ حقها من واقعك فضلاً أن يمتلئ منها قلبك ووجدانك وتفيض لها مشاعرك روحًا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

ومعنى! إن العبادة ليست صورة نؤديها ونتخلى عن مسؤوليتها، وليست تكليفاً نلقيه عن ظهورنا ونتخلّص منه بأقرب طريق، كلا! لم تكن كذلك يوماً ولو كانت كذلك لكانت آساراً وأغلالاً.

العبادة روح ومعنى ومشاعر تتدفّق في قلبك فتلهمك الحياة، تشعرك بوجودك، تفتح بينك وبين ربك باباً تلتقي به كل يوم لا لتتخلّص من واجبه وإنما لتبث شكواك إليه، وتفيض بمشاعرك في مناجاته، ويهبك حين يراك مطيعاً مقبلاً كل شيء.

العبادة باب بينك وبين ربك إذا أحسنت قرعه في الوقت المسموح لك جاءك منه كل شيء، وإذا لم تحسن قرعه ربما لم يصلك إليك من ذلك الباب شيء. أعد النظر في صلاتك هل هي تلك الصلاة التي تنفصل فيها الحجب بينك وبينن ربك! هل هي تلك الصلاة التي تشعر أنك تكلم ربك ليس بينك وبيننه ترجمان!

هل هي تلك الصلاة التي تقول فيها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]

وأنت تستشعر رحمته التي أحاطت بك! أو تكرر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣] وتجد أنك تستجر هذه الرحمة في واقعك! أو تلك الصلاة التي تتعترف فيها أنك عبد لله تعالى لا تتخلّف عن عبوديتك ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] أو تلك التي تزدلف فيها بينن يدي ربك في كل مرة وأنت تسأله وتلح عليه في كل ركعة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]

من فضلك عُد مرة أخرى لسؤال نفسك ما قصة صلاتك وخشوعك ورغبتك ورهبتك في كل مرة تستقبل فيها ربك!

ما أحوجنا في هذا الشهر إلى إعادة مباهج هذا المعنى الكبير في نفوسنا من جديد. تأمل في دعائك فرق كبير بين إنسان يسأل الله تعالى أن يهبه توفيقًا وفلاحًا ورشداً، ويصرف عنه موبقات الحياة، وآخر حين يقول يارب يرددها حتى أنك لتشعر أنهها تشق عنان السماء من حنينها وألقها ومشاعرها فلا يكاد يقف دون أمانيها شيء.

لو لم يكن في هذا الشهر إلا إعادة وهج هذا المعنى وبريقه في واقع نفوسنا لكان شيئًا يستحق الإجلال والإكبار.

أعد النظر في قلبك تأمله هل ترى فيها هجراً ونفاقًا وحسداً وظلامًا قد تقف حائلة بينك وبين أمانيك!

وسل نفسك كيف تصنع منه قلبًا وارفًا بالأفراح!

كيف تعيد تلك الصلات المقطوعة، وترم تلك الخلافات والنزاعات التي طال زمان انتظار الوفاق فيها وتذكّر أن عملك موقوف على صلاح قلبك وسوءة القلب مانعة من قبول العمل وعثرة في سبيل رضا الرب تعالى على صاحبها ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]

وقاك الله تعالى بوائق الحرمان.

ويمكن أن يكون مشروعك في هذا الشهر رحلة تدبر في كتاب ربك تستقطع فيها جزءاً من كل يوم لاستشعار ما في

هذا القرآن من أحداث! يا ألله لو أنك قررت هذا الشهر أن تعيد علاقتك بالقرآن، وأن تتحوّل من قراءة الحدر التي ترقب فيها أجراً عاجلاً أو حسنة في الميزان إلى تلك القراءة التي تكشف لك الحُجُب فيما بينك وبين الله تعالى!

ماذا لو أنك قررت هذا الشهر أن تلقي برحاب قلبك ووجدانك ومشاعرك بين أوراق هذا الكنز لتكتشف أسرار الحياة من جديد!

والله الذي لا إله إلا هو إن تدبر القرآن حياة عاجلة لا ثمن لها في الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

كل ما عليك إلا أن تأخذ تفسيراً مختصراً وتبدأ فيه بتأمل آياتك التي تقرؤها أو السور التي قررت أن تتدبرها وتهب لهذا الوقت قلبك ومشاعرك وتسأل الله تعالى ملحاً أو يفتح لك من أسرار توفيقه ما يعينك على البلوغ، وأحسن من هذا أن تنضم لمجموعة في حيك، أو مسجدك

فيها من طلاب العلم ما يفتح عليكم ببعض شجون هذا المعنى الكبير، أو يمكنك أن تبحث عن كتابي «رحلة تدبر جزء عم وتبارك» مطبوعـًا أو من خلال الشبكة العنكبوتية وتأخذ منه جزءاً فسترى فيه إن شاء الله تعالى الحياة.

المهم أن تقبل وأنت تريد فتوحات الله تعالى وأسراره وتمسك بعنان ذلك جاداً.

ويمكن أن يكون مشروعك الدعوة إلى الله تعالى وتشعر بأن هذه الأيام من أعظم الفرص في حياة الدعاة والمصلحين وذلك من خلال لقاءاتك بالشباب أو الأسر والأرحام أو من خلال برامج المجتمع والمساحات الممكنة كل في شأنه ودائرته ومساحته فلئن يهدي الله تعالى بك رجلاً خير لك من حمر النعم!

المهم أن تكون فطنًا ملهمًا تعرف كيف تدلف على القلوب بفن! وكيف تبلغ مقصودك من أقرب الطرق!

وما الوسيلة الراقية والمؤثرة وكيف تسلك سبيلها إلى قلبه من غير ضجيج!

ومثلك أوعى بأن نتائج هذا المشروع أوقافًا بشرية تجري عليك مدى العمر!

ويمكن أن يكون مشروعك القيام على حوائج الناس وإعانتهم والقيام على إطعام جائعهم وسد حاجتهم ما أمكن ذلك، ويكون مع ذلك وبجواره وفي دثاره كلمة صالحة، وجميلاً يصنع الحياة، ومواقف تأتي منها على تعبيد هؤلاء في النهاية لله تعالى.

(١٣)

رمضان والفرص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

كم مرة صنعت الفرص واقعاً بهيجاً في حياة صاحبها! وكم مرة فتحت أملاً، ومدت ومن تأمل هذا الشهر أدرك أنه محضناً للفرص، ومساحة لاستثمار من هذه المفاهيم الكبرى في هذا الشهر عظمة الفرصة في الحياة، وأن الفرص تقدم للإنسان أرقى ما ينتظره من خير وأوسع ما يريده من بركة في لحظة أو لحظات من الزمن.. وأن الإنسان حين يستعد لاستقبال هذه الفرص ويدرك آثارها، ويرتّب حياته لاستثمارها سيكون في عداد الكبار في لحظة من لحظات الزمن، ومدرسة رمضان تثير فرصاً كبرى في حياة الإنسان وليست فرصة، وتجعله في خلال شهر واحد صفحة بيضاء

من الخطيئة، وورقة مثمرة من الحسنات، وتكتب على كل خطواته السابقة مهما كانت أوذارها رحلة جديدة وحياة كبيرة، ترى هذا في قول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)

وفي قوله ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

وفي قوله عليه الصلاة والسلام «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣) إنك حين تتأمل في مدرسة الحياة كلها قد لا تظفر فيها أحيانـًا إلا ببضع فرص مهما امتدت بك الحياة وطال بك الزمن، وترى مفهوم الفرصة في رمضان يلبس أوسع صوره، ويخرج بهيجًا يتلقى الإنسان في كل طريق ويهبه روحه ومعناه وأثر ه..

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).

ولم أر مفهومًا يلبس ثوبًا فضفاضًا كبيراً في فترة وجيزة كما أرى هذا المفهوم في فترة قصيرة من حياة الإنسان.. لكن مشكلتنا الكبرى أننا لا نحسن قراءة هذا المفهوم في أحيان كثيرة قراءة المتتبع للفرص، المستثمر لها، المشمر إليها، الناظر لها بروح الإعجاب والانتظار فتفوتنا لأجل ذلك، وتذهب من حياتنا ونحن لم نحتف بها احتفاء المحبين، وتغادرنا دون أن نتلفّت لها، أو حتى نستشعر رحيلها من حياتنا.

علمني رمضان أن أقرأ هذه الفرص بعين عكاشة بن محصن وبروحه ومبادرته حين دفعه استثمار هذا المفهوم لعناق الجنة يوم القيامة دون حساب ولا عقاب، وقام غيره يود اللحاق ويلهث من أجل الوصول فما وجد إلا عوارض الطريق.. [١].

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦) أن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، فَقَالَ عُكَّاشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ

إنني أدرك أن مشكلة الفرصة أنها تأتي في لحاف العمل، وتحاول أن تُقْدِم عليك وهي متدثرة به متعثرة في أعطافه، فتأتيك هنا في حديث نبيك ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»(١).

وتطلب منك دقة الإخلاص لله تعالى، وروائع تلذذه، ورؤيته أثناء الجوع والعطش، وكثيراً ما يغيب هذا المعنى ويكون تذكّره مكلفـًا على أصحابه وهم يذوقون ذات الجوع وذات العطش، وهذا هو لحافها هنا وتراه لحاف يحتاج إلى جهاد وتعب وتذكّر في كل وقت حتى ينسلخ من على الجسد فتكون الفرصة في لحظته عارية ويحين وقت اللقاء.. وتأتيك في ذات الثوب في قول نبيك ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»(٢) وثوب هذه الفرصة أن تقوم مع الإمام كل ليلة من حين ما يبدأ إلى أن ينصرف، وفوات

أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

شيء من صلاة الإمام محفوف بفوات الفرصة كلها لعموم قول النبي ﷺ: «**مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(١) ومحصلة قيام هذه الليالي كلها هي الفرصة التي أخبر بها نبيك ﷺ.

لو لم أتعلم من رمضان سوى هذا المفهوم لكان كبير المعالم في حياتي، عظيم الآثار فيها، فكيف إذا قلت لك هو أول ما تعلمت، وفي حياتي غير ذلك ستأتيك تباعاً بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». والنسائي (١٦٠٥)، وابن ماجه (١٣٢٧).

(٤)

رمضان والتغيير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد**

كم مرة كنت موقنًا أنه لا يمكن أن يأتي جديد في حياتك مهما بلغت الأحداث والظروف التي تواجهها في عرض الطريق، وما زالت هذه القناعة تلازمك حتى جاء رمضان فبدّل هذه القناعات، وغيّر هذه المفاهيم حتى رأيت مالم تكن تتوقعه يومـًا في حياتك كلها.

جاء رمضان ليقول لي ولك وللعالمين حتى القناعات التي تؤمنون بها إذا لم يكن لها رصيد من الدليل والتجربة فلن تلبث أن تصمد أمام الحقائق الكبرى في الحياة. كنت مؤمنـًا بأنني استنفدت كافة طاقاتي وقدراتي الممكنة في الواقع الذي أعيشه ولم يعد لدى أي جديد صالح للتجربة

ففاجأني رمضان أن هذه القناعة مجرد فقاعة لارصيد لها. كم هي المرات التي حاولنا أن نصوم فيها بعض الأيام تطوعـًا ؟

وكم مرة عجزنا عن خوض هذه التجربة؟ وكثيرون يشهدون رمضان هذا العام ولم يجربوا مرة أو ربما جربوا ورأوا أن تلك التجربة مجهدة للدرجة التي لا تستحق التكرار مرة أخرى في الحياة.

وها هو رمضان يأتي إلينا ويصوم الواحد منا خمسة عشرة ساعة لا يبالي بطول اليوم ولا يكترث بعدد ساعاته ويمضي لا يلوي عنقـًا على كل ما يلقاه من أثر هذا الصوم في الطريق، وعاش الواحد منا مستعليـًا على كل الشهوات التي يراها بعينه وترمقها مشاعره ، بل استطاع أن يغيّر نظام اليوم كله، ويضفى جديداً لحياته وعاداته ويتأقلم مع الواقع الجديد وكأنه لم يتغيّر شيء في حياته كلها.

بل ربما حتى الذي كان مبتلى بعادة التدخين مثلاً واعتذر مراراً للناصحين أنه لا يمكن أن ينفك عنها ساعة واحدة في يومه استطاع أن يقف في وجه تلك الشهوة زمنـًا

طويلاً دون أن يمد يده إليها أو يحدّث نفسه بها، كل هذا يعطينا يقينـًا أننا نملك من القدرات والإمكانات ما نستطيع أن نصنع به واقعـًا بهيجـًا في حياتنا إذا أردنا، وأن حياتنا كلها وقف على الإرادة.

إن من القواعد المقررة في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]

وكل إنسان لا يمكن أن يصنع جديداً بهيجـًا في واقعه حتى يبدأ في بناء القناعات الداخلية أولاً، ويحوّلها فيما بعد إلى قرارات عملية تطبيقية يأتي منها إلى ما يشاء في حياته.

كثير من قراراتنا التي تفشل، وتجاربنا التي تتوقف، ومحاولاتنا التي تكل في منتصف الطريق سببها أننا لم نستثير كوامن الإرادة في نفوسنا من البداية، وأننا نبدأ بفصول التغيير ونفوسنا من الداخل هشة أو غير مقتنعة أو مرتبة على التوقف ولا نصل في النهاية إلى شيء.

إن هذه التجربة الرمضانية تضخ في نفوسنا الأمل أن في إمكاننا صناعة التغيير الذي نريد، وخلق الواقع الذي

نشتهي إذا آمنا أننا أهل لكل ذلك، وأننا أقدر على خوض كل تجربة جديدة ونفوسنا مشبعة بالثقة بالله تعالى وبما أودع في تلك النفوس من قدرات وإمكانات، وأن الذي ترك التدخين مثلاً في نهار رمضان قادر على أن يتركه من حياته بالكلية، ومن رابط على صيام أيام الشهر قادر على أن يرابط على بعض العادات الإيجابية حتى تصلب وتقوى وتصبح مع الأيام جزءاً من حياته مع الأيام.

لنجرّب خوض معركة الطريق، ولنبدأ ساحة التفوّق والإبداع في الساحات الممكنة من واقعنا، ولنعلم يقينـًا أن الخطوات الأولى في التغيير مكلفة ومجهدة ولكنها في ذات الوقت ممكنة إذا صحبتها إرادة فاعلة وقوية ومستعدة للتضحية بكل شيء ممكن مع الأيام.

(٥)

رمضان وصناعة الأهداف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

لا أعلم حياة بهيجة بدون هدف!

ولا أرى شيئًا مثيراً في حياة إنسان من غير هدف. وإذا لم تصبح تطارد هدفًا، وتسعى وراء أمنية، وتجهد في بناء غاية، وتمسي على ذات المعنى فمالك وللحياة!

تحديد الهدف نصف المعركة، والنصف الآخر منها العيش من أجل ذلك الهدف.

جاء رمضان ليثير هموم هذه الأماني في نفوسنا، ويبعث فينا الحياة من خلال الأهداف التي نعيش من أجلها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]

فشهر رمضان ليس شيئًا عارضًا، ولا أمنية باردة، وإنما هدف كبير عظيم في الحياة!

وعلى من كل من صامه أن يدرك أنه إذا لم يبلغ هدفه الكبير وأمنيته العظيمة وشجونه المثيرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وإلا فلا قيمة له في واقعه.

وهذا نبينا ﷺ يستثير هذا المعنى في نفوسنا، ويبعث أشواقنا إلى تلك الأماني الكبار ويدفع بنا لإدراك تلك الحقائق قبل الفوات: قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وقال ﷺ: «**وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»

فتأمل هذا الهدف الكبير: «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» وأسرج خيلك لركوب إليه، وشمّر مع السائرين في الطريق إلى ذات الأماني المثيرة في واقع صاحبها وعند اللقاء تدرك غنائم الحياة.

فرق كبير مهول بين صائم يمسك عن الطعام والشراب

وينتظر غروب الشمس لتمام يومه فحسب، وآخر يمسك عن كل شيء رغبة في عناق تلك الأماني المثيرة، والأحداث المرتقبة، وصنائع الحياة العظمى في نفوس أصحابها العظيمة. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

إن الهدف هنا بيّن واضح، وهو هدف محدد الوقت يبدأ في رمضان وينتهي بعد ثلاثين يومـًا، ومن روائعه أن مكافأته تحتف به وتغري بعناقه وأي مشروع في الأرض يأتي إليه صاحبه دون أن يكون هدفه واضحـًا بيّنـًا لا يمكن أن يحتفل منه في النهاية بشيء!

وكم هي المشاريع التي بدأها الإنسان مع نفسه أو في مجتمعه أو على مستوى أمته لمّا يكن يرقب هدفها الكبير في النهاية بشوق تنازل عنها، وتخلّف عن مباهجها، وتركها حتى ماتت في عرض الطريق لم تجد سقاءً كافيـًا يبلغها أحلامها التي تريد.

إن ختمتك التي تخوض تجربتها في رمضان، أو رحلة تدبرك في كتاب الله تعالى لا يمكن أن تبلغها حتى يكون هدفها واضحـًا بيّنـًا كم تقرأ كل يوم! وفي أي يوم ستختم

من الشهر! وماذا تريد أن تتدبّر؟

وكم من آية يومية تريد أن تتدبرها؟ وكيف سيكون تدبرك؟ بل لو أنك تلفت فيمن حولك أو سألت الذي بجانبك: كم هم الذين يعيشون على حلم ختم القرآن الكريم من زمن طويل ولم تأت النهاية التي يشتاقون إليها من سنوات!

وكم من إنسان نصب له مشروعًا عمريًا ويزعم أنه بالغ فيه النهايات ولمّا لم يدوّن له هدفًا يقيس فيه نجاحه ويعرف كم يقطع منه مسافة يومية لم يصل بعد فيه إلى شيء، وما زال مشروعه في طيات الأوراق لم يستنشق الهواء بعد.

أعظم أهدافك في هذا الشهر: «تحقيق التقوى» فاجعل هذا الهدف بين ناظريك وذكّر به نفسك، وألظ به قلبك في كل لحظة، واجعله حاديًا لك في كل حين وستعيش مباهجه بإذن الله تعالى في النهايات.

وتحقيق التقوى يأتي من خلال طاعة الله تعالى وأعظم

شأنها وأكثرها إلحاحًا في واقعك إقامة الصلاة في وقتها وجماعة لمن تلزمه وعدم التخلّف عنها وتعظيم قدرها من الخشوع والصدق والإقبال على الله تعالى فيها، والعناية براتبتها وسنتها المطلقة قبلية كانت أو بعدية، ومن ثم القيام بكل حق أمرك الله تعالى أن تقيمه فشأن رمضان فيه كغيره من الشهور إن لك يكن أعظم وأهم. ويأتي تحقيق التقوى من خلال ترك ما حرم الله تعالى سماعًا وكلامًا وأخذاً وعطاءً والابتعاد عن كل ما يمكن أن يوقعك في معصية الله تعالى، ويحول بينك وبين تعظيم الله تعالى، وتأتي التقوى كذلك من تعظيمك لشعائر الله تعالى في قلبك ومشاعرك والقيام بحقوقها قدر وسعك وطاقاتك.

ليس الشأن أن تمسك يومك عن طعام وشراب فذاك شأن يجوزه كل راغب، وإنما الشأن أن تتذلل جوارحك لأوامر الله تعالى، وتتعبد له، وتقف مجلة لحرماته راعية لأوامره آتية من ذلك على غايات الصيام الكبرى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

التقوى أن تتحوّل إلى عبد من عبيد الله تعالى لا تقول شيئـًا أو تسمع آخر أو تقترف شأنـًا إلا وفق مراد الله تعالى وتوجيهه وتتحرك في هذه الدائرة لا تخرج من مساحتها مهما كانت الفرص التي تترى بين عينيك لحظتها فإذا ما انطوت أيام شهرك وأنت مرابط على هذه الغاية الكبرى فقد أمسكت بعنان هدفك وبلغت مقصودك الكبير وتحقق لك ممن الأماني التي لأمثالها تناخ مطايا الناجحين.

(٦)

رمضان وتعظيم السنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

يدهشني كثيراً منظر تلك الأسر عند الإفطار وهي ترقب الرطب وتقدمه على كثير من شهواتها، وتراه أهنأ لها من غيره، لا لذته فغيره أشهى وألذ، وإنما إحياء لسنة نبيها ﷺ فقد كان يفطر على رطبات.

الأكثر في الدهشة أنه قد يتأخر هذا الرطب، ولا تجده الأسرة لحظة الأذان وتبقى تبحث عنه، وتكد في طلبه وتضحي بوقتها من أجله كل ذلك إجلالاً للسنة وتعظيماً للوحي رغم مساحة الشهوات الممتدة على طاولة الإفطار تلك اللحظة.

ماذا لو امتد مشهد الحرص على الرطب لحظة الإفطار في رمضان إلى مشاهد حياتنا التي نعيشها كل يوم! كيف لو أن الإنسان صار يتحرك في بيته على هدي وسنة نبيه ﷺ، وتمتد السنة في حياته في طريقه، ومسجد حيه، وتمضي في رحلة أوسع لتشمل التعامل مع جيرانه وأصدقائه، وتصحبه إلى سوقه في بيعه وشرائه، وتكون منهجاً حياتيا يأتي على سائر حياته!

ماذا لو انتقل هذا المشهد المثير مشهد انتظار الرطب لحظة الإفطار إلى بيتك فتتحوّل سنة نبيك ﷺ التي تقرؤها وترددها في حياتك إلى منهج في التعامل مع زوجك وولدك «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**»[١] وتطول جيرانك «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»[٢] وتصبح جزءاً مثيراً في حياتك مع صديقك وعاملك وصاحبك وجماعة الحي

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وابن ماجه (١٩٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

ومن تتعامل مع من في الطريق العام «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»[1] لتبني من خلال هذه السنة مباهج العمل في واقع الحياة كلها.

لم تعد هذه الأسرة التي تنتظر الرطب في مشهد الإفطار تفرّق بين سنة وواجب وإنما باتت تشعر بأن الحياة كلها وقف على تمثّل هذا الدين في واقع حياتها، تنتظر الرطب وهي في ذات الوقت تنتظر آثار هذا المعنى الكبير في مستقبل أيامها ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

وهذه والله مباهج الحياة التي عاشتها تلك الأجيال في زمن النبوة! لم يقتل الأمة شيء اليوم ما قتلها هذا التفريق بين سنة وواجب، حرام ومكروه لا لتعرف به بين الفرق بين

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وأحمد (٢/ ١٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٢).

وأخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٦٠٣٥) بلفظ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا».

أحكام الله تعالى وإنما لتجد به فرصة للخروج من تبعة العمل والاقتداء.

يا أيها الصائمون: مدوا في مشهد الرطب والحياة به في كل شيء تأخذونه في الحياة، وتمسكوا بهذه الشريعة لعلكم تبلغونها بها ومن خلالها أفراح الحياة.

(٧)

رمضان والوقت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

من أكثر الأدوات المؤثّرة في بناء الإنسان «الوقت» وإذا رأيت تيجان الفضيلة على رأس صاحبها فتلك فضيلة الوقت ما زالت به حتى ألبسته تلك التيجان. وهو أربع وعشرون ساعة عند الناجحين والمتميزين وعند العاديين المخفقين.

جاء رمضان ليشير فينا فضيلة الفضيلة ويذكرنا بعظمته، ويبين لنا أنه أهم موارد الحياة على الإطلاق. إنك حين تفطر بثوان معدودة قبل غروب الشمس لا يكن لك من يومك شيء، وذهب كل وقتك لا قيمة له، وحين تأكل بعد أذان المؤذن في الفجر لا تستقبل من يومك سوى

الحسرات. يعلمنا رمضان بهذه الصور أن الاحتفال بالوقت هو صناعة الكبار، وأن من فرّط في وقته لم يستقبل سوى الندامة.

إن ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين، وعشرين دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا تستغرق سوى سبع دقائق. وإذا قرأت خمسة وعشرين حديثاً من البخاري في كل يوم أتيت عليه كاملاً في ثلاثة أشهر.

لقد احتفل أحد المبدعين بوقت ما قبل النوم فخصص عشرين دقيقة أتى منها على قراءة مسند الإمام أحمد في خمس وثلاثين مجلداً، وسير أعلام النبلاء في ثلاثة وعشرين مجلداً.

وخلق من مساحة مستقطعة تذهب في تصفح الجوال عند كثيرين مساحة إبداع أتى منها على بعض أحلامه التي يريد.

ما أحوجنا لإدراك قيمة الوقت في هذا الشهر والتخطيط له والإتيان منه على أحلامنا التي نريد.

يمكنك أن تتعرّف على الأوقات المتاحة لديك في هذا الشهر ثم تخطط لاستثمارها وبلوغ آمالك من خلالها ولعلك تأتي على أمانيك.

(٨)

رمضان وتعظيم شعائر اللّه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين **وبعد:**

من أعظم الغايات التي جاء رمضان لتجذيرها في نفوسنا تعظيم شعائر الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] لم يأت رمضان لنتوقف عن الطعام والشراب فحسب وإنما جاء رمضان لصناعة الغايات الكبرى من تعظيم الله تعالى، وإجلاله والقيام بشعائره، والوقوف عند زواجره ونواهيه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ دعوة مثيرة لملئ مساحات رمضان بالطاعات والإتيان من خلال وقته على كثير من المعاني العبادية التي من شأنها إعداد الإنسان للحياة، وجعله عنصراً

مثيراً في واقعها.

إذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فتأمل قول نبيك ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١) من لم يدع الباطل من الكذب والزور ومخالفة الحق في أيام رمضان فلا حاجة لله تعالى في ترك طعامه وشرابه، وكم من صائم لا يلتفت الله تعالى إلى جوعه وعطشه! وكم من مؤمل في غير طريق!

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إعادة هيكلة لبناء الإنسان ومفاهيمه ومضامين روحه وصياغته على وفق المنهج الذي يريده الله تعالى. وليست صوراً فارغة من محتواها الكبير!

وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش! وكم من متم للشهر عدداً لم يأت منه كيفـًا كما يريد.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ دعوة لأن تخوض جوارحك كلها رحلة الصيام وتتحول إلى مخلوقات تقوم بحق ربها وتأتي من رمضان على أهدافها وغاياتها في واقع الحياة.

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

(٩)

رمضان ومفاهيم الوحدة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

لا تحتاج في رمضان لمفاهيم ومعارف جديدة تذكرك بأهمية وحدة هذه الأمة واجتماع كلمتها ووحدة صفها، يكفي من ذلك كله أن ترقب هذه المشاهد في الإفطار والسحور والتراويح والقيام لترى كم هي حاجة الأمة لمثل هذه المعاني الكبيرة في تاريخها وواقعها.

كثيرة هي صور الخلاف التي أخذت واقعها من الأمة على مستوى الأفراد، والجيران والمؤسسات وحتى البيوت وفيما بين الأصدقاء والزملاء والأرحام والأقارب، وباتت تتوسّع بشكل مخيف على مستوى الأمة وكل يدعي فيها أنه على الحق وغيره على الباطل وصدق ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ**

أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[١] وفي كتاب الله تعالى واعظ هذه الفرقة وخطر هذا الخلاف على أصحابها ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢١-٢٢].

أراد الشارع من خلال هذه الصور التي نراها في الإفطار والسحور والتراويح والقيام أن يبني في نفوسنا قيمة الاجتماع، ويؤلف بين روح الجماعة الواحدة، ويخلق من هذا الشتات جموعـًا تشعر بعمق الصلة وروح الانتماء فيما بينها، ويذكرها بذلك المقصد الكبير ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢] ولكن لا يكفي التمتع بهذه الصور لحظات رؤيتها بل يجب أن تمتد هذه الصور إلى تحقيق آمالها الكبرى في النهايات.

إن الواجب على كل فرد أن يعي دوره في وحدة الأمة، وأن يرقب مشاهد هذه الجموع في رمضان بعين الغبطة،

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

وأن يحاول جاهداً أن يمد في أثرها، ويحيي صورها ويوسع نطاقها قدر وسعه.

على كل فرد أن يتخلّص من الخلاف الذي بينه وبين زوجه ورحمه وصديقه وزميله في العمل لأنه بذلك يوسع في درس الوحدة، ويمد في الاجتماع، ويكون بذلك لبنة من لبنات الأمة الواحدة. ومثل ذلك الأسرة، والبيت الواحد، والجيران، وأصدقاء العمل، وزملاء الدراسة، وأصحاب الحق كل في دائرته ويحاول كل فرد أن يقيم جداره وأن يعتني بدائرته ويملأ مساحته ويوسّع في أثر هذا المعنى الكبير مع الأيام.

(١٠)

رمضان والأوساط الإيجابية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة،السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

تُرى ما الذي أعان هـذه الجموع على الصيام في رمضان رغم طول ساعاته وأيامه؟ ما الذي جعلهم يؤدونها في أجواء مشاعرية تبلغ بهم لدرجة الفرح والسرور رغم كُلفتها؟

إنها الجماعة والأوساط الإيجابية التي تُحيل كثيراً من صور التكاليف إلى مثل هـذه المباهج المثيرة في واقع الحياة.

حين أراد النبي ﷺ أن يؤدّب المتخلفين عن غزوة تبوك رضي الله تعالى عن الجميع فرض عليهم عُزلة شعورية فكانوا رغم وجودهم في وسط الجماعة محرومين من معناها الكبير للدرجة التي كان يفيض دمع الواحد منهم

مراراً لفقدانهم أنسها وألقها الروحي والمشاعري.

تُعلمنا الجماعة في رمضان أن المشاريع الجماعية تستوعب طاقات المجتمع، وتكوّن أرضاً خصبة للعمل، وتشجع على التعاون، وتثير روح التنافس فيما بين الآخرين فلولاها بعد توفيق الله تعالى لم يكن بوسعنا أن نصوم شهراً كاملاً، وخمسة عشرة ساعة كل يوم، ونصلي القيام، ونعتكف، ونتصدق، ونأتي على ختمات كثيرة من كتاب الله تعالى.

إن عصرنا اليوم هو عصر التكتلات، والأمة بحاجة إلى اجتماع أفرادها وتكاتفها فيما بينها، وصناعة مشاريع تستوعب طاقاتها الممكنة، وتعينهم على المشاركة في البناء في صور من الجماعية تنصهر فيها روح «الأنا» وتتضخم فيها وعي «نحن» دون تحزّب لرأي أو فكرة أو مشروع، وتتعاون في ذات الوقت مع كل راية غايتها الحق ورائدها التعاون، وهمها خدمة الإسلام.

علينا أن نفطن لأثر الوسط الإيجابي ودوره في بناء عاداتنا الإيجابية وتحقيق ما نريده من آمال. إننا بحاجة إلى

اختيار الصديق الصالح، والرفقة الإيجابية الفاعلة، والجماعة المؤمنة بأهدافها، والفئة التي تزدلف لكل فضيلة وترقب كل مثير من العمل والبناء لأننا بهذا التركيز والاختيار نتغلّب على ظروفنا وعقبات الطريق التي تواجهنا ونبلغ ما نطمح إليه من آمال.

(١١)

رمضان والدعاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

حين أفاض الله تعالى في الحديث عن تقرير فرضية الصيام، وأبان جملة من أحكامه انتقل لبيان قُربه تعالى من عباده وإجابته لدعائهم دون مقدمات ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٦] في إشارة لطيفة لأهمية الدعاء في مواسم الخيرات.

وحين تقرأ القرآن يدهشك لهج الكبار بالدعاء، واستشعارهم لأثره، وإدراكهم لما يتركه في حياتهم من مباهج ولو بعد حين.

ولو فتحت سورة الأنبياء فقط لاستوقفك كثرة نداء

الأنبياء لربهم ففي معرض قصة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وفي ختام قصة يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وفي مشاهد قصة زكريا ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [الأنبياء:٨٩] وكل هذه النداءات كانت مؤذنة بمشاهد كبيرة وعظيمة في الختام تتمثّل في قول الله تعالى لكل هؤلاء ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فشفي بها أيوب من مرضه، وخرج بها يونس من أزمته ومحنته، ونال بها زكريا ولداً وصلاحًا في أهل وذريته.

لقد حدد الخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشكلتنا في هذا الجانب العبادي الكبير فقال: «**إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء**».

وإذا أردت أن تعرف أثر ما قاله الخليفة الراشد فانظر كم تدفع من وقتك لسؤال ربك! كم من وقت تهبه لسؤال حاجتك! كم مرة في يومك وليلتك تنيخ مطاياك لله تعالى وتسأله فواتح الخيرات.

كم من مؤمل بالدعاء؟

وكم من محروم بفواته من وقته؟

وإذا أردت أن تعرف قدر الدعاء فتأمل قول نبيك ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»(١).

وقوله ﷺ: «**لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»(٢).

وقوله ﷺ: «**إِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣) أي يتصارعان فأيهما غلب أصاب.

فأقبل على ربك، وألح عليه في الدعاء، وأدمن الوقوف على باب الرجاء ولا تدع الفرص تفوتك فيفوتك بفواتها أرباح الدارين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وأحمد (٥/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (٤٠٧)، والترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه (٩٠).

(٣) أخرجه البزار (٨١٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٤).

(١٢)

رمضان والقرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

عرّف الله تعالى رمضان بأبرز خصائصه، وأبهج صوره فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥] حتى أن السلف فقهوا هذا المعنى فجعلوا من هذا الشهر قصصاً مثيرة في التنافس على خيرات كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً.

غير أن الذي يستوقفك ويثير همومك ويبعث فيك تساؤولات كثيرة لا تنتهي بك عند حد حديث ابن عباس في الصحيحين في وصف نبيه ﷺ «وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ

رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ »[١].

كيف ربط جوده ﷺ برمضان، وجعل سبب تلك الزيادة الظاهرة في جودة علاقته بالقرآن!

وكم من عاقل أخذته الدهشة وهو يمعن في هذا الوصف لأثر القرآن على صاحبه. تُرى كيف يكون واقع المسلمين لو كانت هذه الحلق المثيرة في جنبات بيوت الله في شهر رمضان تقرأ كتاب ربها متدبرة متأملة لمعانيه متمثلة لما فيه من هديات! ماذا لو أن كل مسلم عقد عهداً مع ربه تعالى أنه لا يمر بأمر أو نهي إلا وأعطاه حقه من الاستسلام والقبول والعمل!

إن مما يؤلم كثيراً أن يردد أحدنا في مواضع كثيرة من كتاب ربه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]

ثم لا تردعه هذه الآية عن صور ومشاهد الظلم في حياته كزوج، وأب، ومسؤول.

---

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

ومؤلم في ذات الوقت أن نردد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ [البقرة:٢٧٨].

ثم تجد الواحد منا يركب سيارته، ويؤثث بيته على مثل هذه الصور الجالبة لغضب الله تعالى وسخطه ولعائنه. ومؤسف غاية الأسف أن نردد في كل مرة شهادة الجوارح على أصحابها في مواقف القيامة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

ولا يرعوي أحدنا عن الاستكثار من صور هذه الشهادات عليه كل يوم يا أيها المقبلون على مباهج هذا القرآن لا يفتكم ربيع التدبر في هذا الشهر فكم من آية حملت صاحبها إلى منازل الفلاح والتوفيق.

(١٣)

رمضان والجود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

كان النبي ﷺ أجود الناس، وما سئل شيئًا فقال لا، وعلمنا ﷺ أن العطاء فن، وأن الحياة تقف مجلة للذين يحسنون فنون هذا المعنى الكبير في واقع حياتنا.

في شهر رمضان تتوسّع دائرة هذا المعنى في حياة نبينا ﷺ «**وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ**»[١] وقد دعى ﷺ لهذا العطاء وهيّج لبعض صوره في رمضان فقال ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ**

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»[١].

وحاول الشرع جاهداً في التنفير عن صور الأخذ، ومد يد السؤال، وقبّح صوره للدرجة التي كان سوط الراكب من صحابته الكرام يسقط وهو على ظهر بعيره وينزل ليأخذه تعففـًا عن السؤال وترفعـًا عن منازله.

ما أحوجنا إلى التخلّق بأخلاق الكبار في كل وقت وفي شهر رمضان بالذات، العطاء والجود والكرم هي باعث الأشواق في حياة الآخرين.

فالوقت الذي تهبه لمحتاج من أثمن ما تجود به في واقعك وفي الحديث قال ﷺ «وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٧) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والنسائي في «الكبرى» (٣٣١٨)، وابن ماجه (١٧٤٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٨٦١)، والشجري في «أماليه» (٢٢٩٨)، وأبو الغنائم النرسي في «ثواب قضاء حوائج الإخوان» (ص: ٥٦). قال=

وقتك الذي تدفعه من عمرك للإصلاح بين اثنين، أو لم شعث أسرة، أو لعون محتاج أو لمد رسالة، وتكثير واقع بالخيرات من أعظم ما تجود به في عمرك وتاريخك، ومالك الذي تدفع به حاجة والدك أو أمك أو حتى أخاك وصديقك وجارك ومن يشرف بك على مباهج الخيرات، ويكتب لك في النهاية فوز الدارين، وأخلاقك التي تهب منها لأهل بيتك وأصدقائك وجيرانك ومن هم ولك هي كذلك من أعظم ما تقدمه من الجود والعطاء.

رأيت في الحرم أناسًا يتفننون في هذه القيمة حسب وسعهم فأحدهم يوزّع ماءً، وآخر يهدي أكياسًا، وثالث يهدي فاينًا، ورابعًا يجود بقهوة، وخامسًا يطوي بقايا الطعام، وسادس، وسابع وثامن وعاشر يتعلمون من خلال هذه الصور معنى جديدة للحياة.

=الذهبي: موضوع، ووهاه الشيخ الحويني. انظر: «المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي» (٢/ ٥٥)، «النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة».

إننا حين نتقاسم هذا المعنى تتضاءل مساحة الأنانية في حياتنا، وتتقلّص درجة الفردية في واقعنا، وتبدأ رحلة الجماعة خطواتها المثيرة في واقع العمل والبناء، وإذا رأيت أمة تتعاضد في مثل هذه الصور ويجود بعضها لبعض بمثل هذه المعاني فارقب فلاحها في الدارين.

(١٤)

رمضان وسماحة الشريعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

قاعدة الشريعة الكبرى: أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة، وأن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، وأن كل ذنب غير الشرك فعاقبة صاحبه إلى الجنان وإن لقي في طريق رحلته إليها شيئاً من العقوبة والحرمان، حين تقرأ أحاديث الصيام تشدك تلك الرحمة التي تمتلئ بها تلك النصوص:

- «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»(١).
- «**لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٧/ ١٣٦)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٢/ ١٤٨/ ٢). وصحح إسناده الألباني في «إرواء=

- «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»[١].

- «مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ»[٢].

ومن كان مريضـًا أو على سفر فعدة من أيام أخر، حتى الحامل والمرضع تسقط عنهما هذه الفريضة إشفاقـًا بولدهما، ورحمة بهما وبصغيرهما. كل هذا رحمة بك، وعطفـًا وإشفاقـًا عليك.

وإذا امتد نظرك إلى أصول الشريعة وفروعها أدركت تمامـًا أن الله تعالى أراد بها إسعاد الإنسان في الدارين حين تقرأ نصوص الوحي قراءة مشاعرية سيدهشك جمال هذه الشريعة ويسرها وأناقتها ورعايتها لأدق التفاصيل

=الغليل» (٤/ ٣٢).

(١) أخرجه ابن حبان (٨٨٠) والروياني في «مسنده» (١/ ٢٤٩) والخلال في «المنتخب» (١/ ٤٨) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٥٨)، و«الصحيحة» (١٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣، ٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥).

المشاعرية في حياة الإنسان، وإذا أردت أن تشرق حياتك من جديد فاستكثر من قيم الوحي، واستجمع من فضائل العمل ما يجعلك بهيجاً في الدارين.

تشفق عليك هذه الشريعة للدرجة التي تدفعك لتأخير السحور حتى لا تجهد في نهارك ثم تأمرك بتعجيل الفطر حتى لا تشق عليك، وإذا أكلت أو شربت ناسياً فليس عليك شيء إنما أطعمك الله تعالى وسقاك فقل لي بربك من الذي قال لك بأن هذه الشريعة ضيقة وحرجة والله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨] من الذي قال لك أن تكاليفها شاقة وربك يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

هذا اليسر والسعة ورفع الحرج الذي تراه يملأ شريعتك يجب أن يتحوّل إلى مشاعرك وقلبك فتكون كذلك سهلاً بسيطاً مع زوجك وولدك وأبويك، وتكون بشوشاً خلوقاً مع صحبك وصديقك، يجري الفأل والأمل في قلبك ومشاعرك كما تجري روح هذا الشريعة في حياة الناس لا فرق.

(١٥)

رمضان والعقوبات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

تحكي الشريعة في رمضان قصة ذلك الرجل الذي وقع على أهله زمن الصيام وكيف تعاملت معه في ثوب من القوة والصرامة فأوجبت عليه عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً في إشارة إلى تكاملها، وجمعها بين اليسر والرحمة بالمكلف، والضبط لتصرفات المتساهلين في حياض الحرمات.

إن هذه الشريعة تشرّع منهجاً يقوم على الرحمة والعطف واليسر بالمكلف إلى أقصى درجة، ثم هي في المقابل تفرض حصاراً على المتمردين، وتذيقهم مس حرارة المخالفة حتى يعودوا إلى الطريق ولا يحدثوا خللاً

في اتساق هذه الشريعة في قادم الأيام.

إن هذه الحدود التي يقوم عليها نظام الشريعة هي النظام الذي يصنع للناس أمنًا، ويجعلهم يعيشون فيما بينهم في ساحات من الربيع ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة:١٧٩]

حين يقتل القاتل ، وتقطع يد السارق، ويجلد الزاني أو يرجم، ويضرب شارب الخمر فلا تخسر الأمة فرداً أو عضواً وإنما تحيا من جديد فيدرك الناس حقوق بعضهم بعضًا، ويسود بينهم الاحترام، وتشاع روح الأخوة، وتجري مباهج الحياة وكل طرف يدرك ماله من واجبات، وما عليه من حقوق.

إن ثمة شغب يرفع صوته في أطراف الدنيا يديره العدو على أحكام هذه الشريعة باسم حقوق الإنسان يريدون به أن يحولوا به بلاد الإسلام إلى قطيع من الحيوانات التي تتهارج فيما بينها في ساحات الفوضى.

تؤكّد هذه الشريعة يسرها وجمالها وألقها وكأنها تقول لي ولك: لا تضاد بين الأخلاق الجميلة ومعاملة الناس بالحسنى وبين الأخذ على أيدي العابثين وردهم إلى الطريق من جديد.

يمكنك أن تفسح من أخلاقك لولدك ولزوجك إلى أبعد مدى وحين يخالف منهم أحداً الطريق مصراً متعمداً من الضرورة أن تقوم بدورك التربوي فترده إلى الجادة من جديد.

(١٦)

رمضان والبراءة من المشركين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

ما علاقة رمضان بعقيدة الولاء والبراء؟ ما له وللكفار في ديار الغرب؟ قال ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**»(١).

يحاول النبي ﷺ من خلال هذا النص بعث روح البراءة من المشركين من جديد.

ويذكّر الصائمين وهم في غمرة مشاعرهم أن الشريعة وحدة واحدة يغذي بعضها بعضاً، وهي لا تُقدّم مفاهيم مفصولة عن بعضها وإنما تطرح مشروعاً لبناء الإنسان من

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٦).

كل جوانبه.

إن الكافر عدو للمؤمن هذه ليست معرفة يراد حفظها، وإنما عقيدة يراد لها العيش في قلوب المؤمنين، وسيظل الكافر عدواً مهما كانت الصور التي يديرها الواقع، وتمليها الظروف.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١].

ومثلك أوعب بالحديث فثمة فرق بين المعاملة التي نعاملهم بها وهي مبسوطة في قول ربك ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة:٨] تبروهم بكل أنواع البر إلا ما فيه نص ثابت كالسلام وأعياد دينهم، وما عداه فقد فسح الإسلام في صور التعامل معهم لأرقى المثل والمعاني، وفي حديث نبيك ﷺ «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»(١)

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

وبين العقيدة التي يجب أن تعمر قلوبنا أن هؤلاء أعداء، وستظل معاملتهم مع كل مسلم مرهونة بهذا المعتقد، ولن تأتي اللحظة التي تلقى منهم وداً إلا فيما يخدم قضيتهم ومشروعهم وفي بيان ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة:١٢٠].

من الفقه والوعي أن تعلم أن هؤلاء أعداء لك في الأرض وتحاول الشريعة إيقاظ حسك ومشاعرك ألا تكون غافلاً عما يدار حولك، وما تراه اليوم من هذا الضخ الإعلامي الكبير ومحاولة تشويه الإسلام والمسلمين وإلصاق التهم بهم في كل مكان هو جزء من إدارة المعركة التي يشعر بها العدو ويريد الإسلام ألا تكون بمنأى عنها.

تدعوك الشريعة لأن تكون فطنًا وأن تعرف عدوك من صديقك وأن تكون محصنًا أمام وارد الأفكار والمفاهيم والتصورات التي يديرها العدو معك في كل مكان وزمان.

(١٧)

رمضان والمحاسبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

كم مرة تتملك الإنسان الدهشة وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة:١٤-١٥].

ويجد الإنسان نفسه مأسوراً لهذه المكاشفة الربانية لجنس الإنسان في ساحات الدنيا.

كم مرة حاول الواحد منا أن يخلق عذراً لتخلفه، ومساحة لتأخره، ومجالاً يخرج فيه من ضيق المسائلة إلى فضاء الأعذار وحين ينجح في خلق تلك الحجج الكافية لإعذاره تعرض له هذه الآية وجهاً لوجه ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة:١٤-١٥]

كأنها تحاكمه وتذكره وتقول له: يكفي هذا اللجاج والخصومة التي تود أن تخرج فيها من ساحات الناس، والحقيقة الكبرى هي ما بينك وبين نفسك فحسب وليس للناس من ذلك شيء.

رمضان من أعظم الفرص لفتح كشوفات حساباتنا، وعرضها، وتصفيتها وإعادة بنائها من جديد «**رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ**»(١).

كم نحن بحاجة في هذا الشهر إلى إعادة النظر في واقعنا، وإعادة ترتيب حياتنا، وتشكيل أهدافنا، وتنظيم أمورنا لنبدأ رحلة الحياة بوعي أكبر.

ثمة كشوف كثيرة تحتاج إلى عرض ونقد يأتي على رأسها علاقتنا بالله تعالى، وعلاقتنا ببيوتنا، وأسرنا، وأرحامنا، وجيراننا، وكشوف أهدافنا ومشاريعنا.

وإذا كان التاجر يصنع من شهر رمضان حكاية لترتيب تجارته فكيف لا يصنع صاحب الأهداف والمشاريع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨٨٧١)، وابن حبان (٤٠٩) وغيرهما.

والرؤى والأحلام من هذا الشهر حكاياته وتحدياته!

إن حديث نبينا ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ**» يذكّرنا بأن من لم يعيد النظر في واقعه وترتيب نفسه من جديد وإلا فاته من الفقه في هذا الشهر ما يستحق به العزاء.

(١٨)

رمضان وتعظيم الشريعة

لو سألت هذه الجموع التي تصوم هذا الشهر وتقبل على الله تعالى فيه وتتهافت على إحياء شعيرته: لم تمسكون عند الفجر وتتوقفون عن كل المباحات ولا تمدون أيديكم إلى شيء، وتبقون على هذا المعنى طيلة خمسة عشر ساعة وتنتظرون المغرب وأنتم على الجوع والعطش؟ لقالوا لك: لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة:١٨٧]

ولو قلت لهم : لم تفطرون عند غروب الشمس بالذات لا تتقدمون على هذا الوقت ولا تتأخرون عنه؟ لقالوا لك لأن نبينا ﷺ قال: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ**

هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»[١]

وإذا كررت عليهم سؤالاً ثالثًا لم تفطرون على التمر بالذات لقالوا لك: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»[٢] فتأمل هذه المعاني، وانظر كيف أن المؤمن لا يتحرك إلا بالنص الشرعي ولا يخطو خطوة من حياته إلا على أثر من علم الوحي!

من الإنسان لولا هذه الشريعة؟ من هو لولا هذا الوحي الذي ينير له الطريق ويكشف له عن مصالحه في الدارين؟ ليس هذا شأن الوحي معك في شهر رمضان فحسب، بل في كل دقيق من عمرك وكل شأن من حياتك ستجد بأن الوحي حاضر معك في كل لحظة، وماثل أمامك في كل طريق.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وأحمد (٣/ ١٦٤). وحسنه الترمذي عقبه، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٦٢٣) رقم (١٠٧٧).

إن المسلم يعلم يقينـًا أن أكله وشربه وتعامله مع زوجه وأهل بيته ورحمه ومن حوله من العالمين يجري وفق الوحي لا يتخلّف عن هذه الحقيقة شيء.

حتى حذاءه كيف يلبسها، وكيف يخلعها، وكيف ينام، وماذا يقول حين الاستيقاظ، وكيف يبدأ يومه، وكيف يلبس ثوبه، وكيف يتعامل مع صديقه، وكيف يؤدي عمله، وما ذا يقول حين الخروج من بيته، وما ذا يقول في الخروج كلها قضايا مرتبة محددة في شريعة الله تعالى يؤديها المسلم وهو يشعر أنه في يدل طريق الحياة بطوله ويعرف ما يراد منه في النهايات. ولذلك فطن العدو اليوم لقضيتك فهو يجهد في كل لحظة على أن يذبل هذا المقوّم الشرعي في نفسك، ويفرغ هذه العلاقة الروحية بينك وبينه حتى يجعلك في النهاية بلا رؤية ومنهج في الحياة وليس لك غاية تود الوصول إليها فتنبه واقبل على معين هذا الوحي وتمسّك به جاداً وسترى مباهج الحياة في الدارين.

(١٩)

رمضان والاستثمار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

أراد الله تعالى أن يصف ليلة القدر فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدْر:٣].

وهذا القدر الذي يشير الله تعالى إليه تعادل العبادة فيه ثلاثًا وثمانين سنة وبضعة أشهر، ثم أراد الله تعالى أن يبين لك عن حال تلك الليلة وما فيها من الخيرات فأخبر أن ملائكة السماء بما فيهم جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تنزل تلك الليلة وتشارك جموع المسلمين، وتبتهج بهذا الشرف الكبير في عالم الأرض فقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ [القدْر:٤].

وأبان الله تعالى في ختام وصف تلك الليلة بكلمة مشاعرية تهتف بقلوب كل راغب إلى أبعد حد فقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدْر: ٥]

فتأمل هذه المعاني الثلاثة التي أشار الله تعالى إليها في هذه السورة، وأجِلّها بمشاعرك وارصد لها من أفراح قلبك ما يعينك على إدراك ما فيها من خيرات!

كل الكتب والأحاديث واللقاءات التي يحدثها الناس لا يمكن أن تقنعك بالاستثمار في شيء ما تقنعك هذه السورة بالعناية بتلك الليلة والاستعداد لها ودفع كل ما يمكن في سبيل الاستعداد لها والقيام بحقها.

تخيّل أن الذي يعرض شجون هذه الليلة هو الذي خلقها الله جل جلاله، وتخيّل أن ملائكة السماء تلك الليلة معك على بساط هذه الأرض، وأن أشرفهم جلالاً وقدراً جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ معهم ومعك على ذات المساحة، وأن الله تعالى يخبرك أن تلك سلام تلك الليلة يعم الكون إلى بلوغ فجرها.

وإذا أردت أن تفضي للقاء هذا المعنى الكبير فاستقبله بالأفراح، ولترقى نيتك فيه لأقصى درجة الشوق، واسأله ملحـًا عونـًا وتوفيقـًا تقبل بقلبك فيه إقبال الراغبين. وابسط جوارحك في رحاب محراب، وخلوة، وأر الله تعالى منك خيراً، وأدمن سؤال الوحي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1] فإنه إذا عفى عنك فتح لك كل باب، وكرر عليه حاجتك فما يدريك أن تكون ليلة واحدة كافية لكتابة حياتك وتاريخك من جديد.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٤٢)، وابن ماجه (٣٨٥٠).